يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا . وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم . ومهما بلغ سن التمييز فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان . ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوّف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش فاذا وقع نشوءه كذلك فى الصبي فهما قارب البلوغ أمكن أن يعرّف أسرار هذه الأمور *

كتاب آفات اللسان

﴿ بيان خطر اللسان ﴾

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه إلا بالنطق بالخير فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يَستقيمُ إيمانُ العبدِ حتى يَستقيمَ قلبُهُ ولا يَستقيمُ قلبُهُ حتى يَستقيمَ لِسانُهُ ولا يَدْخُلُ الجنّةَ رَجلٌ لا يَأمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ) وقال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال (يا ابنَ جَبَلٍ وهلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النارِ عَلى مَناخِرِهِمْ إلاّ حَصائِدُ ألسِنَتِهِمْ) وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم . وعنه صلى الله عليه وسلم (مَنْ كَفَّ لِسانَهُ سَترَ اللهُ عَوْرَتَهُ ومَن مَلَكَ غضبَهُ وَقاهُ اللهُ عذابَهُ . ومَن اعتذَرَ الى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَن كان يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو

ليسكت) وعنه عليه الصلاة والسلام (إخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان)

﴿ جمل من آفات اللسان ﴾

﴿ الأولى الكلام فيما لا يعنى ﴾

إعلم أن رأس مال العبد أوقاته فهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا فى الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وسببه الباعث عليه هو الحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك كله أن يعلم أن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الخيرات الحسان فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين *

﴿ الآفة الثانيه فضول الكلام ﴾

وهو أيضاً مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجمعه ويكرره مهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول ـ أى فضل عن الحاجة ـ وهو أيضاً مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) وقال صلى الله عليه وسلم (طوبى لمن أمسك الفضل

من لسانه وأنفق الفضل من ماله) فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . قال عطاء : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو تنطق لحاجتك في معيشتك التي لا بدّ لك منها . أتذكرون إن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . أما يستحي أحدكم اذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر مافيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وقال ابن عمر : ان أحق ماطهر الرجل لسانه . وفي أثر : ما أوتي رجل شرًّا من فضل في لسان *

﴿ الآفة الثالثة الخوض في الباطل ﴾

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتكبر الجبابرة ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المذمومة فان ذلك مما لايحل الخوض فيه . وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل . وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على مايعني من مهمات الدين والدنيا . وفي الحديث (أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل) واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ وبقوله تعالى ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الرجل ليتكلم

بالكلمةِ من رضوانِ اللهِ مايظنُّ أنْ تبلغَ ما بلغت يكتبُ اللهُ بها رضوانَهُ إلى يومِ القيامةِ وإنّ الرّجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ ما يظنُّ أن تبلغَ ما بلغتْ يكتبُ اللهُ عليهِ بها سخطَهُ إلى يومِ القيامةِ ﴾ *

﴿ الآفة الرابعة المراء والجدال ﴾

وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تمارِ أخاكَ ولا تمازحهُ ولا تعِدْهُ موعدا فتخلفهُ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ما ضلّ قومٌ بعدَ أن هداهم اللهُ إلاّ أوتوا الجدلَ ﴾ وعنه ﴿ لا يستكملُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتّى يدعَ المِراءَ وإن كانَ محقّا ﴾ *

وقال بلال بن سعد : اذا رأيت الرجل لجوجا ماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته . وقال ابن أبي ليلى : لا أمارى صاحبى فاما أن أكذبه واما أن أغضبه . وما ورد فى ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى *

وحدّ المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما فى اللفظ واما في المعنى واما فى قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدّق به وان كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه *

والواجب ان جرى الجدل فى مسألة علمية السكوتُ أو السؤالُ فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والمكادة أو التلطفُ فى التعريف لا فى معرض الطعن . وأما قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه فهى المجادلة المحظورة التى لا نجاة

من اثمها إلاّ بالسكوت . وما الباعث عليها إلا الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما صفتان مهلكتان . ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصوّر له فيثور الشجار بين المتماريين . وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره *

﴿ الآفة الخامسة الخصومة ﴾

وهي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء وحقيقتها لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وفي الحديث ﴿ إنّ أبغض الرّجال إلى اللهِ الألدُّ الخصِمُ ﴾ ولا تكون الخصومة مذمومة الا ان كانت بالباطل أو بغير علم كالذي يدافع قبل أن يعلم الحق في أي جانب أو يمزج بخصومته كلمات مؤذية لاحاجة لها في نصرة الحجة واظهار الحقّ أو يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر غرضه واني ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولاأبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جداً . فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الأولى تركه ماوجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على قدر الاعتدال متعذر

والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرّض لهذه المحذورات . وأقل مافيه تشويش خاطره حتى أنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حدّ الواجب . فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغي أن لا يفتح بابه إلاّ لضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وقد قال الله تعالى . ﴿ وَقُولوا لِلنَّاسِ حُسناً ﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ مَنْ سَلَّمَ عليكَ مِنْ خَلقِ اللهِ فارْدُدْ عليهِ السَّلامَ وَإن كان مَجوسيًّا ﴾ إنّ اللهَ تعالى يقولُ ﴿ وَإذَا حُيّيتُمْ بِتَحيّةٍ فحيُّوا بأحْسنَ مِنْها أو رُدُّوها ﴾ وقال ابن عباس أيضاً : لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه . وفي الحديث (الكلمة الطيبة صدقة) وقال عمر رضي الله عنه : البرّ شيء هين وجه طليق وكلام ليّن . وقال بعض الحكماء : الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وقال آخر : كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين *

﴿ الآفة السادسة التقعر في الكلام ﴾

وهو التشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه فانه من التكلف الممقوت إذ ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام

التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هـذا تحسين ألفاظ التذكير والخطابة من غير افراط ولا اغراب فلرشاقة اللفظ تأثير في ذلك *

﴿ الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان ﴾

وهو مذموم ومنهيّ عنه ومصدره الخبث واللؤم . قال صلى الله عليه وسلم ﴿ إيّاكم والفُحشَ فإنّ اللهَ تعالى لا يُحِبُّ الفُحشَ ولا التّفحُّشَ ﴾ ونهى رسول الله عليه السلام عن أن تسب قتلى بدر من المشركين . فقال ﴿ لا تَسبُّوا هؤلاء فإنّهُ لا يَخلُصُ إليهمْ شيءٌ مِمّا تقولونَ . وتؤذونَ الأحياء ألا إنّ البَذاءَ لؤمٌ ﴾ وقال عليه السلام ﴿ ليسَ المؤمنُ بالطّعانِ ولا اللّعّانِ ولا الفاحِشِ ولا البَذِيءِ ﴾ وعنه ﴿ إنّ اللهَ لا يُحبُّ الفاحشَ المتفحّشَ الصّيّاحَ في الأسواقِ ﴾ وحدّ الفحش هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يدلون عليها بالرموز والكناية . قال ابن عباس : ان الله حيي كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع : فالملامسة والمس والدخول كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة . وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير . وكل ما يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش *

والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب *

روى أن اعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني . فقال ﴿ عليكَ بتقوَى اللهِ وَإن امرُؤٌ عيَّرَكَ بشيءٍ يعلمهُ فيكَ فلا تُعيّرهُ بشيءٍ تعلمهُ فيهِ يكُنْ وبالهُ عليهِ وأجرهُ لكَ ولا تسبَّنَّ شيأً ﴾ قال فما سببت شيأً بعده وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ سِبابُ المؤمنِ فُسوقٌ وقِتالهُ كُفرٌ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ ملعُونٌ من سبَّ والِديهِ ﴾ وفي رواية ﴿ منْ أكبرِ الكبائرِ أنْ يسُبَّ الرّجلُ والديهِ ﴾ قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال ﴿ يسُبُّ أبا الرّجلِ فيسُبُّ الآخرُ أباهُ ﴾ *

﴿ الآفة الثامنة اللعن ﴾

اللعن إما لحيوان أو جماد أو انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمنُ ليسَ بلعّانٍ ﴾ واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عزّ وجلّ وهو الكفر والظلم . وفي لعن فاسق معيّن خطر فليجتنب ولو بعد موته بل قد يكون أشد ان كان فيه أذى للحيّ . وفي الحديث ﴿ لا تسبُّوا الأمواتَ فتؤذوا بهِ الأحياءَ ﴾ ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم فانه مذموم وفي الخبر ﴿ إنّ المظلومَ ليَدْعو على الظالمِ حتّى يُكافئَهُ ﴾ *

﴿ الآفة التاسعة الغناء والشعر ﴾

والمذموم منهما ما اشتمل على محرّم أو دعاء اليه كتشبيب بمعيّن وهجاء

وتشبه بالنساء وتهييج لفاحشة ولحوق بأهل الخلاعة والمجون وصرف الوقت اليه ونحو ذلك وما خلا عن ذلك فهو مباح *

﴿ الآفة العاشرة المزاح ﴾

والمنهيّ عنه المذموم منه هو المداومة عليه والافراط فيه فأما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك والضغينة فى بعض الأحوال ويسقط المهابة والوقار وأما ما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم كما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿ إنّى لأمزح ولا أقولُ إلاّ حقاً ﴾ ألا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً وأما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال عمر من مزح استخفّ به . وقال سعيد بن العاص لابنه يا بنىّ لاتمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدّنىء فيجترئ عليك . وقيل لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح . ويقال المزاح مسلبة للمنحى مقطعة للأصدقاء ومن الغلط العظيم أن يتخذ المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرّسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر اليهم والى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة فى النظر الى رقص الزنوج فى يوم عيد وهو خطأ وبالجملة فان كنت تقدر على أن تمزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرّط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك فيه . ومن مطايباته صلى الله عليه وسلم ما روى أن عجوزا أتته . فقال لها ﴿ لا يَدخُلُ الجنّةَ عَجوزٌ فبكَتْ ﴾ فقال لها ﴿ إنّكِ

لستِ بعجوزٍ يومئذٍ ﴾ قال الله تعالى ﴿ إنا أنشأناهنّ إنشاءً فجعلناهنّ أبكاراً ﴾ وجاءت امرأة اليه صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك قال ﴿ ومن هو أهو الذي بعينه بياضٌ ﴾ قالت والله ما بعينه بياض . فقال ﴿ بلى إن بعينه بياضاً ﴾ فقالت لا والله . فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ما من أحدٍ إلا وبعينه بياضٌ ﴾ وأراد بالبياض المحيط بالحدقة *

وجاءت امرأة أخرى فقالت يارسول الله احملني على بعير فقال ﴿ بل نحملك على ابن البعير ﴾ فقالت ما أصنع به أنه لايحملني . فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ما من بعيرٍ إلا وهو ابنُ بعيرٍ ﴾ *

وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله يأتيهم ويقول ﴿ أبا عُميرٍ ما فعلَ النُّغيرُ ﴾ لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال ﴿ تعالَيْ حتى أُسابِقَكِ فشددتُ عليّ درعي ثم خطونا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال : هذه بكان ذي المجاز وذلك أنه جاء يوما ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطنيه فأبيت وسميتُ وسعى في أثري فلم يدركني ﴾ *

وقالت أيضاً : كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعتُ خزيراً وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك فقالت ما أنا ذائقته فأخذتُ بيدي من الصفحة شيأ منه فلطخت به وجهها ورسول الله جالس بيني و بينها فخفض

لما ركبته لتستفيد فتناولت من الصحفة شيأ فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك . وعن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش له *

وقال عيينة الفزاري والله ليكونن لي الابن قد تزوج و يقبل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ ﴾ *

فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل *

وقال صلى الله عليه وسلم مرّة لصهيب و به رمد وهو يأكل تمراً ﴿ أتأكلُ التمرَ وأنتَ رَمِدٌ ﴾ فقال انما آكل بالشق الآخر يارسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم قال بعض الرّواة حتى نظرت الى نواجذه *

وكان نعيمان الأنصاري رجلا مزّاحا لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يارسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أو لم تهده لنا فيقول يارسول الله انه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبيّ صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه . فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام *

(الآفة الحادية عشرة)

(السخرية والاستهزاء) وهو محرم قال تعالى ﴿ يَا أيُّها الذينَ آمنوا

لا يَسخَرْ قَومٌ مِن قَومٍ عَسَى أن يَكونوا خَيرًا مِنهُم ولا نِساءٌ مِن نساءٍ عَسى أن يَكنّ خَيراً مِنهُنّ ﴾ ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل وقد يكون بالاشارة والايماء ومرجع ذلك إلى استحقار الغير والضحك عليه والاستهانة به والاستصغار له وعليه نبه قوله تعالى ﴿عسى أن يَكونوا خَيراً منهُم ﴾ أى لاتستحقره استصغارا فلعله خير منك . وهذا انما يحرم فى حق من يتأذى به فأمامن جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزح وقد سبق مايذم منه وما يمدح . وانما المحرّم استصغار يتأذي به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على حفظه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته لعيب فيه فالضحك من جميع ذلك داخل فى السخرية المنهىّ عنها *

(الآفة الثانية عشر افشاء السرّ)

وهو منهىّ عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبىّ صلى الله عليه وسلم ﴿ إذَا حدَّثَ الرّجلُ الحَدِيثَ ثمّ التفَتَ فَهى أمانَةٌ ﴾ وعنه ﴿ الحديثُ بينَكم أمانةٌ ﴾ فافشاء السرّ خيانة وهو حرام إذا كان فيه اضرار . ولؤم ان لم يكن فيه اضرار *

(الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب)

فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق . قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ العدة عطية ﴾ وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال ﴿ إنه كان صادق الوعد ﴾ ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب إلي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق . أشهدكم اني قد زوجته ابنتي *

وعن عبد الله ابن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك *

وكان ابن مسعود لا يعد وعداً الا ويقول ان شاء الله وهو الأولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر . فان كان عند الوعد عازما على أن لا يفي فهذا هو النفاق قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد

أخلفَ وإذا عاهدَ غدرَ وإذا خاصمَ فجرَ ﴾ وهذا يُنزّل على من إذا وعد وهو على عزم الخلاف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم خادماً فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدى فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول (كيف بموعدي لأبي الهيثم) فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة . ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت (فاختكم ما شئت) فقال أختكم ثمانين صائبة وراعيها قال هي لك وقال احتكمت يسيراً .

﴿ الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين ﴾

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال صلى الله عليه وسلم ﴿ إياكم والكذبَ فإنّهُ معَ الفجُورِ وهما في النّارِ ﴾ وعنه ﴿ إنّ الكذبَ بابٌ من أبوابِ النّفاقِ ﴾ وعنه ﴿ كبُرَتْ خِيانةً أن تُحدّثَ أخاكَ حديثاً هُو لكَ بهِ مُصدّقٌ وأنْتَ لهُ بهِ كاذبٌ ﴾ ومرّ صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول

الآخر والله لاأزيدك على كذا وكذا فمرّ بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال ﴿ أوجبُ أحدَهما بالإثمِ والكفّارةِ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ثلاثةٌ لايكلّمهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ ولا ينظرُ إليهم المنّانُ بعطيّتِهِ والمنفقُ سلعتَهُ بالحلفِ الفاجرِ والمُسبلُ إزارَهُ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ من حلفَ على يمينٍ بإثمٍ ليقتطعْ بها مالَ امرئٍ مُسلمٍ بغيرِ حقٍ لقيَ اللهَ عزّ وجلّ وهوَ عليهِ غضبانُ ﴾ وقال عليه السلام لمعاذ ﴿ أوصيكَ بتقوى اللهِ وصدقِ الحديثِ وأداءِ الأمانةِ والوفاءِ بالعهدِ وبذلِ الطّعامِ وخفضِ الجناحِ ﴾ *

﴿ بيان مارخص فيه من الكذب ﴾

اعلم أن الكذب انما حرم لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره وقد يتعلق به مصلحة فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا كما اذا كان في الصدق سفك دم امرئ قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب وكما اذا كان لايتم مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المحقّ عليه أو تعاشر الزوجين إلاّ بكذب فالكذب مباح الا أنه يقتصر فيه على حدّ الضرورة لئلا يتجاوز الى مايستغنى عنه . وفي معنى ذلك وردت أحاديث كثيرة قال ثوبان : الكذب كله إثم إلا مانفع به مسلما أو دفع عنه ضررا *

﴿ بيان المعاريض ﴾

قد نقل عن السلف (ان في المعاريض مندوحة عن الكذب) وانما أرادوا اذا اضطر الانسان الى الكذب فأما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا

يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون. ومثال التعريض ماروى أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتمثل بمرض وقال مارفعت جنبي منذ فارقت الأمير الا مارفعني الله . وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ماجئت به مما يأتي به العمالُ الى أهلهم — وما كان قد أتاها بشئ — فقال كان عندي ضاغط . قالت كنت أميناً عندرسول الله وأبي بكر فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا . قال ما أجد ما أعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر وأعطاه شيأ فقال أرضها به . ومعنى قوله ضاغطا رقيبا وأراد به الله تعالى . وكان النخعي اذا طلبه من يكره أن يخرج اليه وهو في الدار قال للجارية قولي له أطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا ومما تباح به المعاريض قصد تطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ لايَدْخُلُ الجَنَّةَ عَجُوزٌ ﴾ وقوله للأخرى ﴿الذي في عين زَوْجِكِ بياضٌ ﴾ وللأخرى ﴿ نَحْمِلُكِ عَلى وَلَدِ البَعِيرِ ﴾ كماتقدّم *

ومما يتسامح به ماجرت به العادة في المبالغة كقوله : قلت لك كذامائة مرّة فانه لايريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة إلا أنه اذا لم يكن قال ذلك إلاّ مرّة واحدة كان كاذبا *

وأما مايعتاد التساهل به في الكذب في مثل أن يقال كلِ الطعام فيقول لا أشتهيه فذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح ومثل ذلك أن يقول يعلم الله فيما لايعلمه *

وأما الكذب في حكاية المنام فالإثم فيه عظيم وفي الحديث ﴿ إنّ مِنْ أعظمِ الفِريةِ أن يدّعيَ الرّجلُ إلى غيرِ أبيهِ أو يُرِي عينَيْهِ في المَنامِ مالم يرَ أو يقولُ عليّ مالم أقُلْ ﴾ *

﴿ الآفة الخامسة عشر الغيبة ﴾

قد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه الكريم وشبّه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ﴿ولا يَغْتَب بَعضُكم بَعضاً أيُحِبُّ أحَدُكم أن يأكُلَ لحمَ أخيهِ مَيتاً فكرِهتُمُوهُ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ كُلُّ المُسلِمِ على المُسلِمِ حَرَامٌ دَمهُ ومالهُ وعِرْضُهُ ﴾ والغيبة تتناول العرض . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ يامَعشَرَ مَنْ آمَنَ بلسانه ولم يؤْمِنْ بقلبهِ لاتغتابوا المُسلمينَ ولا تتبَعُوا عوراتِهم فإنّهُ مَن تتبَّعَ عورَةَ أخيهِ تتبَّعَ اللهُ عورَتَهُ ومَن تتبَّعَ عورَتَهُ يفضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِهِ ﴾ وعن مجاهد أنه قال في قوله تعالى ﴿ وَيل لكُلّ همَزَةٍ لمَزَةٍ ﴾ الهمزة الطعّان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس . وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لا يرُون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس . وقال ابن عباس : اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك *

﴿ بيان معنى الغيبة وحدودها ﴾

اعلم أن حدّ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه ونسبه أو في خُلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى

في ثوبه وداره ودابته . أما البدن فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع مايتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان وأما النسب فبأن تقول أبوه فاسق أو خسيس أو زبال أو نحوه مما يكرهه . وأما الخُلق فبأن تقول سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان متهوّر وما يجري مجراه . وأما في أفعاله فكقولك هو سارق كذاب شارب خمر خائن ظالم متهاون بالصلاة أو الزكاة لا يحترز من النجاسات ليس باراً بوالديه ونحوه . وأما فعله فكقولك أنه قليل الأدب متهاون بالناس كثير الكلام كثير الأكل نؤوم يجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب ونحوه .

والقول الجامع في الغيبة ماجاء من قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الغيبة ذِكرُكَ أخاكَ بما يكرَهُ ﴾ وانما حرم الذكر باللسان لما فيه من تفهيم الغير نقصان أخيه وتعريفه بما يكرهه ولذا كان التعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول . والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكلُّ ما يُفهِمُ المقصودَ فهو داخل في الغيبة ـ وهو حرام . فمن أومأ بيده الى قصر أحد أو طوله أو حاكاه في المشي كما يمشي فهو غيبة . والكتابة عن شخص في عيب به غيبة لأن القلم أحد اللسانين . وكذا قولك من قدم من السفر أو بعض من مرّ بنا اليوم اذا كان المخاطب يفهمه فهو غيبة . وكذا من يفهم عيب الغير بصيغة الدعاء كقوله الحمد لله الذي لم يبتلينا بكذا . وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان لكن ابتلي بما يبتلى به

كلنا وهو كذا فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فى ضمن ذلك . ومن ذلك أن يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعضُ الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغى اليه ويعلم مايقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له فى تحقيق خبثه . وكذلك يقول ساءنى ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به فيكون كاذبا فى دعوى الاغتمام لأنه لو اغتم به لاغتمّ باظهار ما يكرهه . وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه وهو فى كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفىّ قصده وهو بجهله لايدرى أنه قد تعرض لمقت عظيم . ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها وكان يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجيب ماعلمت أنه كذلك كنت أحسب فيه غير هذا . عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق لمغتاب والتصديق بالغيبةغيبة بل الساكت شريك المغتاب الا أن ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وفى الحديث ﴿ مَنْ اذِلّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَم يَنصُرْهُ وهُوَ يَقدِرُ عَلى نَصرِهِ أذلَّه اللهُ يومَ القِيامةِ على رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ ﴾ وفى رواية ﴿ مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ بالغَيبِ كانَ حقا على اللهِ أنْ يَرُدَّ عَنْ عِرْضِهِ يومَ القِيامةِ ﴾ *

﴿ الأسباب الباعثة على الغيبة ﴾

منها التشفى وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه فيشتفى بذكر مساوئه . فسبقُ اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع .

وقد يمتنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوئ . فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة *

(ومنها) موافقة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة . وقد يغضب رفقاؤه فيضطر الى أن يغضب لغضبهم اظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوئ *

(ومنها) ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره *

(ومنها) الحسد يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه حتى يكفوا عن الثناء عليه واكرامه لانه يثقل عليه ذلك *

(ومنها) اللعب والهزل وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب *

(ومنها) السخرية والاستهزاء إستحقاراً له ومنشؤه التكبر واستجهال المستهزأ به *

وثمة أسباب غامضة فيها دسائس للشيطان وهي أن يذكر اسم إنسان فى حالة التعجب أو الرحمة والغضب لله تعالى فيقول مثلا . تعجبت من فلان كيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل . فيكون تعجبه من المنكر

لصدقه أو يقول مسكين فلان غمى أمره وما ابتلى به . وهو صادق في الاغتمام وكذا قد يغضب على منكر قارفه انسان فيظهر غضبه ويذكر اسمه . والواجب في ذلك ستر اسمه وعدم اظهاره على غيره ولا عذر في ذكر الاسم في ذلك *

﴿ بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة ﴾

اعلم ان مساوئ الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وعلاج كف اللسان عن الغيبة اجمالا أن يعلم انه يتعرض لسخط الله تعالى اذا اغتاب لارتكابه ما نهى الله عنه . فمهما أمن العبد بما ورد من الاخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك . وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ ﴾ ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه . وهذا ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها . واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فان ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب . بل لو أنصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم الذنوب . وينفعه أيضا أن يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا ترضى لنفسه أن يُغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه وبالجملة فمن قوي ايمانه انكف عن الغيبة لسانه *

﴿ بيان تحريم الغيبة بالقلب وذلك بسوء الظن ﴾

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك . ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره ظناً بأمر سيء . فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه ولكن المنهي عنه أن يظن . والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فان لم ينكشف كذلك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ﴾ وفي الحديث ﴿ إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء ﴾ وحينئذ فاذا خطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر (فان قلت) فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث (فنقول) أمارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه . والمخرج منه أن لا يحققه أي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح . وربما يلقى الشيطان أن هذا من فطنتك وسرعة

تنبهك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى — وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته . ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه فى السرّ ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه *

ومن ثمرات سوء الظن (التجسّس) فان القلب لايقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهى عنه قال الله تعالى ﴿ ولا تَجَسَّسُوا ﴾ فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهى عنه فى آية واحدة . ومعنى التجسس أن لايترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له مالو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد مضى فى كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته *

﴿ بيان الأعذار المرخصة فى الغيبة ﴾

اعلم أنه اذا لم يمكن التوصل الى غرض صحيح فى الشرع إلا بذكر مساوئ الغير فانه يرخص فيه ولا اثم وذلك فى أمور منها التظلم وذلك كمظلوم يرفع ظلامته على انسان الى أمير ليستوفى له حقه إذ لايمكنه استيفاء حقه الا بنسبته الى الظلم . قال صلى الله عليه وسلم ﴿إنّ لِصاحِبِ الحقّ مَقالاً﴾ وعنه ﴿ مَطْلُ الغنِيّ ظلمٌ ﴾ ومنها الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى الى منهج الصلاح *

ومنها الاستفتاء كما يقول للمفتى ظلمنى أبى أو زوجتى أو أخي اذا لم يفد الابهام أو التعريض . وذلك لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : ان أبا سفيان رجل شحيح لايعطينى ما يكفينى وولدى

أفآخذ من غير علمه فقال ﴿ خذي ما يكفيكِ وولدكِ بالمعروفِ ﴾ فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها عليه السلام اذ كان قصدها الاستفتاء ومنها تحذير المسلم من الشر كما اذا علمت من انسان ضرراً فحذرت شخصاً منه وكالمزكي يطعن فى الشاهد اذا سئل عنه وكذلك المستشار فى التزويج وايداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة *

ومنها أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا حرج فى ذكره لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به . نعم ان وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص *

ومنها أن يكون مجاهراً بالفسق متظاهرا به ولا يكره أن يذكر به فلا غيبة له بما يتظاهر به *

﴿ بيان كفارة الغيبة ﴾

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحلّه فيخرج من مظلمته ان قدر عليه ولم يخش محذورا وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وفى الحديث : أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى قد تصدقت بعرضى على الناس . أى لا أطلب مظلمة فى القيامة

منه ولا أخاصمه . وليس المراد اباحة تناول عرضه بل العفو عن جريمته وقد قال تعالى ﴿ خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرفِ واعرِضْ عنِ الجاهِلينَ ﴾ وفي الحديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ اللهَ تعالى يأمُرُكَ أن تعفُوَ عمَّنْ ظلمكَ وتَصِلَ من قطَعَكَ وتُعْطِيَ من حرَمَكَ ﴾ *

(الآفة السادسة عشر النميمة)

قال الله تعالى ﴿ هَمّازٍ مشّاءٍ بنميمٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَيلٌ لِكلِّ همَزَةٍ لمَزَةٍ ﴾ قيل الهمزة النمام وقال تعالى ﴿ حمّالةَ الحطَبِ ﴾ قيل أنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يدخلُ الجنّةَ نمّامٌ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ أحبُّكم إلى اللهِ أحاسِنُكم أخلاقاً . الموَطّئونَ أكنافاً (١) الذينَ يألَفونَ ويُؤلَفونَ وإنّ أبْغَضَكُمْ إلى اللهِ المشّاؤُونَ بالنميمةِ المفرّقونَ بينَ الإخوانِ الملتمِسُونَ للبُرَءاءِ العثَراتِ ﴾ *

وحد النميمة هو كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث . وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالايماء . وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال . وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن . بل حقيقة النميمة افشاء السرّ وهتك الستر عما يكره كشفه . بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس فينبغي أن يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه *

(١) فلان موطأ الأكناف كمعظم الجوانب كريم مضياف اه قاموس

والباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكيّ عنه أو اظهار الحب للمحكيّ له أو التفرّج بالحديث والخوض في الفضول والباطل *

وكل من حملت اليه نميمة فعليه أن لا يسارع الى ظن صدقه لقوله تعالى ﴿ إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وأن ينهاه وينصح له وأن لا يظن بالغائب سوأ وأن لا يحمله ذلك على التجسس *

وقال الحسن : من نمّ اليك نمّ عليك . وهـذا اشارة الى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا وهو لا ينفك عن الغدر والخيانة والافساد بين الناس وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وقال تعالى ﴿ إنَّما السَّبِيلُ عَلى الَّذينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَيَبْغُونَ في الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقِ ﴾ والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ مِنْ شِرارِ النّاسِ مَنِ اتقاهُ الناسُ لِشرّهِ ﴾ والنمام منهم . وقيل لمحمد بن كعب القرظي : أيُّ خصال المؤمن أوضح له فقال كثرة الكلام وافشاء السرّ وقبول قول كل أحد . وقال بعضهم : لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك *

﴿ الآفة السابعة عشر كلام ذي الوجهين ﴾

وهو ذو اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه من الثناء عليه في معاداته وذمه الآخر ووعده بأن ينصره على خصمه . وهو من علامات النفاق . نعم اذا دخل على متعاديين وجامل كل

واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن ذا لسانين ولا منافقا فان الانسان قد يصادق متعاديين . وأما لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شرّ من النمام لأن النمام ينقل من أحد الجانبين فقط وهذا يزيد النقل من الجانب الآخر ويزيد أن يحسّن لكل واحد منهما ماهو عليه من المعاداة مع صاحبه . نعم من ابتلى بمراعاة أحد الجانبين فى قول ما لضرورة وخاف من تركه فهو معذور فان اتقاء الشر جائز . قال أبو الدرداء رضي الله عنه : انا لنكشر فى وجوه أقوام وأن قلوبنا لتلعنهم . وقالت عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو) ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت فيه ماقلت ثم ألنت له القول فقال (ياعائشة ان شرّ الناس الذى يُكْرَمُ اتقاء شرّه) ولكن هذا ورد فى الاقبال وفي الكشر والتبسم . والا فلا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل . فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه . وللضرورات حكمها *

﴿ الآفة الثامنة عشر المدح ﴾

وهو منهى عنه فى بعض المواضع . أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمهما . والمدح يدخله ست آفات أربع من المادح واثنتان فى الممدوح فأما المادح فالأولى أنه قد يفرط فيه فينتهى به الى الكذب والثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً

لجميع مايقوله فيصير به مراثيا منافقا والثالثة أنه قد يقول مالا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه والرابعة أنه قد يُفرحُ الممدوحُ وهو ظالم أو فاسق . وذلك غير جائز قال الحسن : من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله في الأرض *

وأما الممدوح فيضره من وجهين (أحدهما) أنه يحدث فيه كبراً واعجابا وهما مهلكان (الثانى) هو أنه اذا أثنى عليه فرح وفتر ورضى عن نفسه وقل تشميره للعمل *

فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه *

وعلى الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ويتذكر أنه يعلم من نفسه مالا يعلمه المادح وانه لو انكشف له جميع أسراره وما يجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه . وكان علىّ رضى الله عنه اذا أثنى عليه يقول . اللهم اغفر لى مالا يعلمون . ولا تؤاخذنى بما يقولون . واجعلنى خيرا مما يظنون * وعلى المادح أن لا يجزم القول الا بعد خبرة باطنه . سمع عمر رضى الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته فى المبايعة والمعاملة قال لا قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا . فقال والله الذى لا اله الا هو لا أراك تعرفه . وفي الحديث ﴿ إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ لَا بُدَّ مَادِحاً أَخَاهُ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَاناً ولا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا ﴾

﴿ الآفة التاسعة عشر الخطأ في دقائق لفظية ﴾

ينبغي التنبّه لدقائق الخطأ في فحوى الكلام والحذر عن الغفلة عنها لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته . مثاله ماجاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ﴿ لايَقُلْ أحدُكم ماشاء اللهُ وَشِئْتُ ولَكِنْ لِيَقُلْ ماشاء اللهُ ثمّ شِئْتُ ﴾ وذلك لأن في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك . ولولا الله وفلان . ويجوّز أن يقول أعوذ بالله ثم بك ولولا الله ثم فلان وعن ابن عباس رضى الله عنهما : ان أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة *

وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ اللهَ تعالى يَنهاكم أن تَحلِفوا بآبائِكُمْ ﴾ قال عمر : فوالله ماحلفت بها منذ سمعتها *

وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لاَ يَقولَنَّ أحَدُكم عَبدِي ولاَ أَمَتِي كُلّكُمْ عَبيدُ اللهِ وَكلُّ نِسائِكم إماءُ اللهِ وَلْيَقُلْ غُلاَمِي وَجارِيَتِي وَلا يَقُلِ المَملوكُ رَبّي ولا رَبّتي وَلْيَقُلْ سيّدِي وَسيّدَتي فكلُّكم عبيدُ اللهِ والرّبُّ اللهُ سُبْحانَهُ وَتعالى ﴾ *

وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لاَ تقولوا لِلمُنافِقِ سيّدُنا فإنّهُ إن يَكن سيّدَكُم فَقَدْ أسْخَطتُم رَبَّكُمْ ﴾ *

فعلى المتكلم أن يوافقه ورع حافظ ومراقبة لازمة ليسلم عن الخطر *

﴿ الآفة العشرون سؤال العوام عن الغوامض ﴾

من حق العوام الاشتغال بالعمل الصالح الا أن الفضول خفيف على القلب والعامي قد يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل اليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى قد يتكلم بما هو كفر ولا يدري . وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي . وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال . وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات فيجب منعهم من ذلك وزجرهم *

كتاب ذم الغضب

﴿ والحقد والحسد ﴾

ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وأنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر